الأوضاع الإجتماعية للخدم والعبيد
في الحضارة المصرية القديمة

م. د. دلكش إبراهيم حمه شيرين
كلية العلوم الانسانية/ جامعة السليمانية
dlgash.hamashirin@univsul.edu.iq

الخلاصة:

الخدم والعبيد هم إحدى الفئات التي تنتمي للطبقة الدنيا في المجتمع المصري القديم، ومما يؤسف له أن معلوماتنا عنهم قليلة ونادرة، وذلك بسبب مكانتهم الاجتماعية التي لم تسمح لهم أن يشيدوا لأنفسهم آثار تشهد على حياتهم وتفاصيلها اليومية. حيث اقتصرت المصادر الأثرية على ظهورهم كأتباع لاسيادهم، وهذا الأمر نفسه هو ما جعلهم يظهرون في المناظر والنقوش وكذلك أعمال النحت في حالات وضيعة، وبأحجام تعكس أهميتهم وأوضاعهم الاجتماعية، إذ كانوا يظهرون كأصغر عناصر بشرية في المشاهد المنقوشة على جدران المقابر والتي يكون فيها المشهد الرئيسي يدور حول السيد صاحب المقبرة.

ويهدف البحث إلى تناول أوضاع الخدم والعبيد في مصدر آخر ألا وهو النصوص القديمة بتصنيفاتها المختلفة الأدبية منها وغير الأدبية، إذ قدمت هذه النصوص صورًا أقرب إلى الواقع دون تأثير من أسيادهم، فصورت طبيعة عملهم بقدر كاف من الحيادية دون وضعهم إلى جوار اسيادهم في المناظر وهي مقارنة غير راجحة، كما تهدف الدراسة إلى التعريف بحقوق وواجبات الخدم والعبيد والأسماء والألقاب التي أطلقت عليهم في اللغة المصرية القديمة. وجدير بالذكر أن علاقة الخدم والعبيد بأسيادهم لم تكن أبدًا على وتيرة واحدة، بل كانت تحت تأثير عدد من العوامل التي ساهمت في تغيير طبيعة تلك العلاقة، منها العامل الزمني ومنها العامل الأخلاقي للسادة.

ويختتم البحث بمجموعة من النتائج التي توضح الفارق ما بين الخدم والعبيد، وكذلك مدى واقعية الصورة التي نقلتها النصوص القديمة ومطابقتها لما قدمته النقوش والمناظر.

الكلمات المفتاحية: الخدم، العبيد، مصر، الأدب، الطبقة الدنيا.

Social status of servants and slaves
in ancient Egyptian civilization

Lect. Dr. Dlgash Ibrahim Hama Shirin
college of Humanities /University of of Sulaimani
dlgash.hamashirin@univsul.edu.iq

Abstract

Servants and slaves were one of the groups belonging to the lower class in ancient Egyptian society. Unfortunately, our information about them is limited and rare, due to their social status which did not allow them to create monuments to commemorate their lives and daily details. Archaeological sources mainly depict them as followers of their masters. This very fact is what led to their portrayal in scenes, inscriptions, and sculptural works in lowly contexts and sizes that reflect their importance and social status. They appeared

as the smallest human elements in the scenes carved on the walls of tombs, where the main scene usually revolves around the tomb owner.

This research aims to explore the conditions of servants and slaves through another source: ancient texts in their various classifications, both literary and non-literary. These texts present images closer to reality, free from the influence of their masters, portraying their work with a sufficient degree of neutrality, without placing them alongside their masters in the scenes—a comparison that is not always valid. The study also aims to introduce the rights and duties of servants and slaves, and the names and titles given to them in the ancient Egyptian language.

It is worth noting that the relationship between servants, slaves, and their masters was never uniform; rather, it was influenced by several factors that contributed to altering the nature of that relationship, including temporal factors and the ethical standards of the masters.

The research concludes with a set of results that clarify the differences between servants and slaves, as well as the degree of realism in the depiction provided by ancient texts compared to what is presented in inscriptions and scenes.

Keywords: Servant, Slaves, Egypt, Literature, Lower Rank.

المقدمة:

ركزت الدراسات التاريخية في العصور القديمة بشكل كبير على الطبقات العليا من المجتمع المصري القديم، بل أن النسبة الأكبر منها تكون تحديدًا من نصيب الملوك والحكام الذين يمثلون قمة الهرم الاجتماعي في مصر القديمة. وقد يبدو أن لهذا الأمر أسباب ومبررات تتعلق بوفرة المادة العلمية والمصادر الأثرية، خاصة وأن أفراد هؤلاء الطبقة العليا هم من تمكنهم إمكاناتهم المادية من إنشاء وإقامة الآثار من المواد والأحجار الصلبة والباهظة والتي يمكنها أن تقاوم عوامل الزمن لفترات طويلة دون أن تتأثر، فبقيت صامدة حتى يومنا هذا لتكون شاهدة على أعمالهم وهيئاتهم ومكانتهم السياسية وكذلك أوضاعهم الاجتماعية.

وعلى الجانب الآخر نجد أن هناك نقص شديد في المعلومات عن أفراد الطبقات الدنيا لعكس الأسباب المذكورة سلفًا، فلم يكن لديهم من القدرات المادية ما يمكنهم من ترك بقايا أثرية معمارية أو حتى من الآثار المنقولة ما يمكنها أن تقاوم الزمن وتبقى شاهدة على أوضاعهم حتى أيامنا الحالية. ولكن ما زاد الأمر سوء في فهم أوضاعهم الواقعية أن معلوماتنا عن أفراد تلك الطبقة إنما تأتي من الآثار الخاصة بساداتهم وولي أمرهم، فتارة يظهروا على المناظر والنقوش كخدم يؤدون المهام المختلفة لخدمة سيدهم الشخصية أو في أملاكه وحقوله ومؤسساته، حيث يظهرون بأحجام صغيرة جدا تعكس مدى دونيتهم مقارنة بأسيادهم. أو أن يظهرون في هيئة تماثيل منحوتة لهيئات الخدم أو الأسرى والعبيد وهم يقومون بمهام مختلفة ليكونوا في معية أسيادهم داخل المقابر لتأدية مهامهم الخدمية في العالم الآخر نيابة عن سيدهم. ومما سبق ونظرًا لإرتباط هذه الأعمال بالسادة من أفراد الطبقة الدنيا فكان من الحتمي أن نتوقع الهيئة والمكانة التي تنقلها المصادر الأثرية عن الخدم والعبيد في مصر القديمة.

ومن هنا جاءت فكرة البحث التي تهدف إلى الكشف عن مصادر أخرى تعكس حياة الخدم والعبيد بصورة أقرب إلى الواقع ومقارنتها مع المصادر الأثرية للتأكد من مدى صحتها ودقتها من عدمه، لذا

فلسوف تعتمد الباحثة خلال هذه الدراسة على رصد ذكر كل من الخدم والعبيد في النصوص المصرية القديمة بإختلاف تصنيفاتها في محاولة لرسم صورة واضحة عن الأوضاع الاجتماعية للخدم والعبيد في مصر القديمة.

وتضمن البحث في بدايته استعراض للألقاب والمسميات التي ظهر بها الخدم والعبيد بمختلف طوائفهم في النصوص المصرية القديمة حتى يمكن للقارىء التمييز ما بين اختصاصات ومهام كل من الخدم والعبيد، ثم استعرض البحث مجموعة من النصوص التي ورد فيها إشارة مباشرة أو غير مباشرة لطوائف الخدم والعبيد والتي يمكن من خلال التعرف على أوضاعهم ومكانتهم الاجتماعية في نظر المصريين القدماء. وقد راعت الباحثة في ترتيب النصوص القديمة الأطار الزمني لها حتى يتسنى تتابع التطور في مكانة الخدم وكذلك العبيد عبر العصور.

ثم استعرضت الدراسة طبيعة العلاقة ما بين الخدم والعبيد وساداتهم والتي شهدت تفاوت وتغيير وفقًا للعامل الزمني وطبيعة النصوص التي ربما أراد منها صاحبها التفاخر بحسن معاملة الضعفاء لأهداف أخروية أو وفقًا للفروق الفردية في القيم الأخلاقية لدى بعض السادة في معاملاتهم مع خدمهم.

١ـ مسميات الخدم والعبيد في اللغة المصرية القديمة:

شهدت الحضارة المصرية القديمة العديد من الكلمات ذات المعاني المترادفة في اللغة المصرية القديمة، حتى ظن البعض أن كلمتي خادم وعبد إنما يعطيان نفس المعنى والمفهوم، ولكن هناك ثمة فارق كبير ما بين كلا التسميتين، فالأول وهو الخادم إنما كان يعمل من أجل سيده مقابل أجر أو حقوق، وكان يبرم عقد ما بين الخادم وسيده ينظم تلك العلاقة. أما العبد فهو الذي يقوم بخدمه سيده ولكن دون أية أجور أو عقود، فكانت تنتقل تبعياتهم من سيد إلى آخر بالمنح أو كعطايا، ومصدر العبيد كان في الغالب هم أسرى الحروب من العناصر الأجنبية.

وقد تعددت وتنوعت المسميات التي تُطلق على الخدم والعبيد وفقا للمهمة المكلف بها أياً منهما، فقد كان منهم فريق يرتبط إرتباط وثيق بالأراضي الزراعية 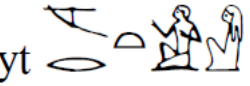 mryt [١] فيخدمون فيها ويسكنون عليها، كما كان هناك طائفة مسئولة عن أداء الخدمات الجنزية iswww [٢] وهناك طائفة أخرى يقتصر دورها على المهام الحكومية دون الأفراد 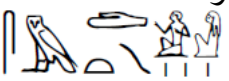 smdt ويكونوا تابعين إما للقصر أو للمعبد أو للأرض وهم بذلك إنما يتبعون ملكية الدولة [٣] مما جعل البعض يرجح الترجمة لهذا الاسم بمعنى الموظفين أو خدم القصر. [٤] أما mrˁiw التي تستخدم في أحيان كثيرة بمعنى الخدم، فتحمل في مغزاها دلالات كثيرة منها على سبيل المثال النساجين أو المرؤسين ويقصد بهم من هم ذو شأن ضئيل، [٥] أو أنهم هم أنفسهم طائفة الـ 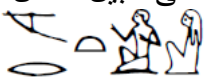 mryt ولكن بشكل آخر للكتابة. [٦]

كل هذه المسميات قد تطلق على أصحاب حرف وموظفين بعينهم، فمنها ما يخص الفلاحين ومنها ما يتعلق بالمهام الدينية ومنها ما ربطه بالوظائف الحكومية، حتى أن الجنود أنفسهم كانوا بمثابة خدم تابعين للدولة، لذا فليس من الغريب أن يكون من بين من يطلق عليهم مسمى mrˁiw أن يكون موظفا بالدولة. [٧]

وإن كانت كل المسميات السابقة قد تفيد معاني الخدم أو العبيد ولكن بصورة غير مباشرة، فقد كانت الكلمتان الأكثر شيوع واستخدام لتعطي المعنى الدقيق لكل من اللقبين بل وساعدتا في فهم سمات واختصاصات كل منهما ألا وهما: b3k، hm وقد ظهرا في العديد من النصوص التي تساعد على توضيح الفارق بينهما بصورة كبيرة.

أ- b3k:

وقد كانت تكتب في اللغة المصرية القديمة بالعديد من الصور والهيئات على النحو التالي:

وبداية من الأسرة التاسعة عشر وما بعدها أصبحت تكتب بالشكل التالي: 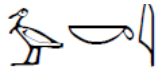

وتنوعت المخصصات لهذه الكلمة ما بين الأشكال التالية :

وقد عبرت كلمة b3k عن العديد من الاختصاصات التي لا يمكن بأي حال من الأحوال أن تترجم بمعنى العبد، بل كان المعنى الأقرب إلى الصواب هو "الخادم" الذي يقوم بالعمل من أجل سيده مقابل أجر.[٩] لذا فليس من الغريب أن نجد هذه الكلمة تتوافق تماماً في شكل كتابتها مع 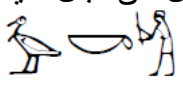 b3k بمعنى العامل على إعتبار أن كل منهما يعمل من أجل سيده مقابل أجر بعكس العبد،[١٠] وقد كان من اختصاصات هؤلاء الخدم وفقا لمناظر المقابر واللوحات أن يقدمون الطعام والشراب إلى رب البيت في حين يهتم آخرون بمختلف الأعمال المنزلية من نظافة وتطهير وغيرها من الأعمال الأخرى.[١١]

ومن ناحية أخرى فقد سبقت الإشارة إلى أنه ليس كل من يحمل مسمى b3k فهو خادم، فلدينا العديد من الأدلة لرجال ذوي شأن عظيم وقد حملوا هذا المسمى بإعتبارهم خدم للملك، بل والأكثر من ذلك فلدينا صهر للملك نفراير كارع يدعى بتاح شبسس يتحدث عن نفسه مدعيا بأنه من جماعة الـ b3k على الرغم من علاقته الأسرية بشخص الملك.[١٢]

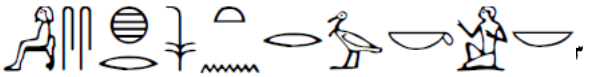

špss ḥr nsw r b3k nb

" المبجل من قبل الملك أكثر من أي خادم "

ولتفادي أي خلط في المعنى والمدلول لهذا المسمى، فيمكننا الإعتماد على السياق العام للنص للحكم على ماهية هذا الـ bAk، هل هو خادم فعلي أم خادم لفظي، فإذا كان السياق المفهوم أنه بمثابة منحة أو مكافأة أو عطية من الملك أو من يليه في السلم الإجتماعي، فهو إذا ذلك الخادم البسيط الذي يكون في معية سيده يخدمه أينما كان:

iw ir . n . i b3kw 3 b3kwt 4 m ḫ3w rdit n . i it . i

" لقد حصلت على ثلاثة خدم وسبع خادمات بالإضافة إلى من أعطاه لي أبي "

هذا وقد أشار Helck إلى تلك الجماعة المتمثلة في الخدم الفعليين الذين يتبعون الطبقة الدنيا على أنهم من دون هؤلاء الذين يطلق عليهم rmṯ أي الناس، وإنما هم طائفة تختلف عنهم ولها مسمياتها الخاصة bȝk, bȝkt .[١٥]

ب- ḥm:

تأتي بمعنى الخادم أو العبد وكانت تكتب في الدولة القديمة وفي الدولة الوسطى زادت عليه فقط الشرطة الرأسية وكذلك الشكل وفي عصر الدولة الحديثة كانت كتابته بالشكل التالي ، وتعني العبد الأجنبي الذي يتم استجلابه كأسير أو من ضمن الغنائم، سواء كان من النوبيين أو من السوريين ويرتبطون دائماً بالأعمال الوضيعة سواء كانوا تابعين للملك أو للأفراد.[١٦]

وأحيانا يأتي المخصص لكلمة Hm بالشكل التالي وهو عبارة عن رجل جالس يمسك في إحدى يديه هراوة تلك التي تستخدم في كتابة ḥm وقد يعكس ذلك قدر من الإستعباد في إستعمال العصى مع هذه الفئة تماما كما تعامل قطعان الثيران والحمير في الحقول. [١٧]

وتتألف معظم هذه الطائفة من الأجانب الذين تم جلبهم كأسرى حرب في الحملات، أو عن طريق التجارة، وكان يتم توزيعهم على المعابد أو على المحاربين تقديراً لبسالتهم، وكان يتم وسمهم بإسم الملك،[١٨] فها هو القائد أحمس بن ابانا يشير في سيرته الذاتية المنقوشة على جدران قبره في الكاب عن أخبار هؤلاء العبيد الذين قدمهم له الملك كمكافأة له:

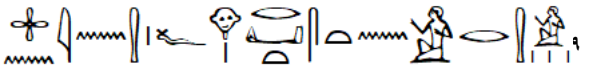

wn ỉn ḥm . f ḥr rdỉt st n . ỉ r ḥmw

" لقد قدمهم لي جلالته كعبيد "

كذلك الحال، فقد كان هناك استعمال لفظي لكلمة Hm وكما كان الحال بالنسبة للمسمى bȝk كذلك نجد أن كلمة ḥm لم تأتي دائماً كي تشير إلى أولئك العبيد الأجانب الذين سبقت الإشارة إليهم، فقد كان لهذا المسمى مدلولات أخرى تستخدم أحيانا للإشارة إلى شخصيات تتمتع بمكانة إجتماعية عالية ولكن بإعتبارهم عبيد للفرعون أو الإله أو من رعاياهم، فعندما يشار إلى اللقب ḥmw nsw يقصد بها ضمنيا رجال الملك وحاشيته، وعلى سبيل المثال فقد ظهر هذا المسمى أعلى منظر يمثل مجموعة من المزارعين يمسكون المناجل ببراعة ويقطعون النباتات بإحدى القبور الموجودة بزاوية الميتين وترجع إلى عصر الأسرة السادسة. [٢٠]

ومما يؤكد أن الـ ḥmw قد لا يكونوا أحيانا هم العبيد الأسرى الفقرة التالية:

[٢١]

n-sp ḏd . ỉ ḫt nb t ḏw t r rmṯ nb t ḫr nsw ḫr ḥmw . f

" أبدا لم أقل أي شيىء سيىء لأي بشر لدى الملك ولدى عبيده "

ومن الفقرة السابقة يتضح أنه لابد وأن يكون هؤلاء الـ ḥmw هم أشخاص ذو مكانة خاصة حتى يحرص المتحدث على تأكيد حسن قوله معهم، وذلك على العكس تماما من المناظر التي تصور الأسرى وهم مقيدون ويتعرضون للدفع والضرب.

هذا ويمكن القول أنه طالما لم تتوفر شروط العبودية في من يطلق عليه ḥm فلا يمكن أن نجزم بتسميته عبد، وخير دليل على ذلك طائفة من الكهنة يطلق عليهم ḥmw kA إلا أنهم أحرارا مثلهم مثل أي مصري يعيش على أرضها. [٢٢]

ج- wbꜣw, wdpw, šmsw :

أحيانا ما يشار إلى الخدم بمسمى يربطهم بطبيعة عملهم مما يوحي إلى الأذهان بأنهم يؤدون هذه المهنة إلى شخص ما دون الأشارة إلى كونهم خدم على الإطلاق.

وكان من بين هذه المسميات 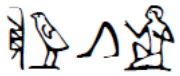 šmsw بمعنى التابع أو الخادم،[٢٣] يكتب هذا اللفظ بإستعمال علامة مُركبة تتكون من عصا طويلة منحنية وحصير ملتف ومربوط برباط من الجلد ومكنسة صغيرة، حيث كان هذا التابع أو الخادم يتبع سيده كلما خرج أو عاد يبسط له الحصير على الأرض ويقدم له العصا ليمسكها بيده كإحدى علامات الشرف ويكنس له من حين إلى آخر الحصيرة التي يفترشها.[٢٤]

ومن الجدير بالذكر أن أهم طائفة من خدم المنازل أولئك الذين يطلق عليهم wdpw أي الطهاة، وقد تعددت أشكال كتابة اسمهم من عصر لآخر على النحو التالي:

[٢٥]

وهناك طائفة أخرى يطلق عليها wbꜣw بمعنى السقاة [٢٦] وأحيانا ما تترجم بمعنى خادم. [٢٧]

هذا وقد جاءت الكلمتان في فقرة واحدة من تحذيرات الحكيم "ايبو-ور" يهدف من ورائها إظهار التداعيات في المجتمع، حتى أنه أصبح في مقدور الطباخ أن يكون له ساقي خاص به، أي أن الخادم أصبح له خادم، وقد ترجمت Lichtheim هذه الفقرة " الطباخ أصبح سيد للسقاة ". [٢٨]

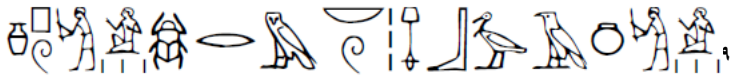 [٢٩]

wdpw ḫpr m nbw wbꜣw

" الطهاة أصبحوا كأسياد للسقاة "

كان كل من الـ wdpw و الـ wbꜣw مكلفين بخدمة سيدهم في السقاية والطعام ويقومون بخدمة المائدة، وقد يكون هؤلاء الخدم جميعا أحراراً بمعنى أنه كان في مقدورهم ترك خدمة سيدهم إذا ما رأوا في ذلك مصلحتهم، أو ليحترفوا مهنة أخرى إذا أتيحت لهم الفرصة. [٣٠]

وعلى أية حال، يتبين من هذه المسميات مدى الخلط في الإشارة إلى مفهوم الخدم والعبيد في النصوص المصرية القديمة، فالمسميات تحمل أكثر من مدلول، ومما يؤسف له أن الفارق بين المدلول والآخر، قد ينقل صاحبه من مكانة النبلاء في المجتمع إلى أدنى فئات الطبقة الدنيا في حالة إذا ما أسيىء

تفسيره والعكس صحيح، لذا فيجب التعامل مع هذه المسميات بقدر من الحذر ومتابعة سياق النص الذي يلعب دور رئيسي في تفسير معنى المسمى الصحيح.

٢- أوضاع الخدم والعبيد في المجتمع المصري القديم:

يكاد القارىء يجزم بحال الخدم والعبيد فور الإشارة إليهم، فيتبادر إلى ذهنه ذلك الشخص المقهور الذي طالما يتحمل المشاق من أجل سيده، إلا أن هناك بعض التفاصيل الحياتية التي لا يتاح للعامة أن يدركوها عن هؤلاء القوم دون دراسة البقايا الأثرية الناتجة عنهم، وهي وإن كانت في الواقع جد قليلة فإنما يرجع ذلك إلى الفقر المدقع الذي عاشوا فيه، فأحال دون أن يتركوا أية آثار تذكر. فضلاً عن ذلك، الأمية التي كانت من نصيب الغالبية العظمى منهم فأحالت بدورها عن وجود أية أعمال أدبية تتعلق بهم.

واقتصر الأمر على الإشارات الضئيلة لهم في أعمال أسيادهم سواء كانت أعمال أدبية أو مناظر خاصة بهم على جدران مقابرهم والتي كانت في أحيان كثيرة غير واضحة المعالم لذا فقد كان الفضل الأكبر للوثائق الإدارية التي ساعدت على تفهم بعض الأمور.

كان العبد أو الخادم كثيرا ما يكلف بأعمال من قبل سيده، وتتشابه في دورها مع تلك التي يقوم بها أصحاب الحرف اليدوية، فنجد الخدم الملكي يعملون في زراعة الأرض، وحتى خدم المنازل فمنهم من يختص بصناعة النعال، كما أن الخادمات كن لهن دوراً كماشطات لسيدة الدار، أو حتى بستانيات أو ناسجات. ويتوافق هذا الحال تماما مع أمثالهم الأسيويين الذين يمكن تمييزهم بسهولة من اسمائهم التي تشير إلى عرقهم،[٣١] إلا أن الفارق الهام هنا والذي يجب دائما أن نضعه في الإعتبار ويكون بمثابة الحد الفاصل ما بين الحرفي والخادم أن الأول يقوم بمهمته من أجل المقايضة بها والكسب المادي أما الثاني فيعمل فقط من أجل إرضاء سيده. [٣٢]

ولعل أحسن مثال على هؤلاء الخدم الذين يسعون إلى راحة سيدهم أولئك الذين أشارت لهم بردية "وستكار" حين أخذ ابن الملك "حور ددف" القارب ليأتي بالساحر "جدي" فوجده جالساً أمام باب بيته ممدداً على حصيرة [٣٣] ويصفه بالقول:

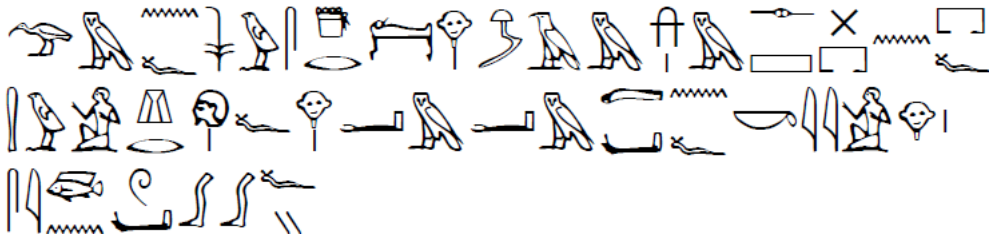

٣٤

gm . n . f sw sḏr ḥr tmȝ m sš n pr . f
ḥm ḫr tp . f ḥr ᶜmᶜm . n . f sw ky ḥr
sȯn rdwy . fy

" فوجده نائما على حصيرة عند عتبة بيته
ويوجد خادم عند رأسه يدهنها وآخر
يدلك قدميه "

ومما لا شك فيه أن النصوص القديمة التي تتحدث عن الخدم والعبيد سواء كانت أعمال أدبية أو سجلات إدارية أو نصوص دينية أو دنيوية، فقد ساعدت على تعويض النقص الكبير في التعرف على طبيعتهم كبشر يحيون داخل المجتمع، وذلك بعدما أغفلتهم الأعمال الفنية في كثير من مناظرها، فعلى سبيل المثال هناك الكثير من المراسيم الملكية والوثائق الإدارية التي تتحدث عن فئات إجتماعية عديدة، فيأتي من بينهم بعض الإشارات عن الخدم والعبيد متضمنة أحكام العبودية والتحرير.[٣٥]

ولا يدفعنا ذلك إلى القول بأن أعمال الفنانين من تصوير ونحت لم تلعب دورا في توفير بعض المعلومات الخاصة بالخدم والعبيد والتي وإن كانت تنقصها بعض التفاصيل كإلحاقها بأية نقوش أو أسماء تساعد الباحثة في التعرف على طبيعة عمله، وأيضاً حالته النفسية تجاه العمل إذا استثنينا من ذلك تماثيل الأوشابتي.[٣٦] إلا أنها ساعدت بشكل كبير على إلقاء بعض الضوء على مكانة هؤلاء القوم داخل المجتمع، فقد صنع النحاتون المصريون أغلب تماثيل الخدم والأتباع والجواري من مواد فقيرة ولينة مثل الحجر الجيري أو الخشب أو العاج.[٣٧]

هذا وقد كان المرجو من هذه التماثيل أن تعمل في العالم الآخر بنفس الدور الذي كانت تقوم به في الدنيا، لذا فقد كانت تتخذ نفس هيئات الخدم والعبيد الحقيقية، وقد يرجع السبب في إخراج هذه التماثيل بنسب ومقاييس شاذة أن ترك أمرها إلى صغار الفنانين الذين هم تحت التدريب وغير مستوعبين تماما لتقاليد فن النحت،[٣٨] وقد يحمل هذا الأمر الأخير دلالة هامة بخصوص نظرة المجتمع إلى قدر ومكانة هذا الخادم.

وكانت حرية الحركة المعهودة في هذه الأعمال النحتية هي نفسها ما اتسمت به مناظرهم المصورة في مقابر سادتهم، وإهتم الفنان كثيرا بإيضاح أصل هؤلاء الخدم سواء كانوا مصريين أو نوبيين أو سوريين وذلك من خلال ملامح الوجه، كما أنهم أضفوا عليها الشعور الداخلي والأحاسيس المصاحبة لهم أثناء تأدية العمل. [٣٩]

ومن أجمل مناظر الخدم المصورة على جدران المقابر تلك التي جاءت على جدران مقبرة "جسركارع سنب" الموظف من عهد الملك "تحتمس الرابع" والموجودة بجبانة الشيخ عبد القرنة رقم ٣٨، وفيها يظهر مجموعة من الخادمات يرتدين ثياب يغطي كل أجسادهن ويعملن على تقديم الشراب للسيدات في حفل موسيقي، والجدير بالملاحظة في هذا المنظر هو ظهور الخادمات على نفس حجم وهيئة أصغر بنات الأسرة والمجاورين لهن. [٤٠]

وعلى النقيض من هذا المنظر نجد في مقبرة "أوخ حتب" من عهد الأسرة الثانية عشر في جبانة مير رقم ٤، منظر يمثل أحد الخدم وهو يقوم بشي بطة من أجل سيده، فنرى الخادم يجلس القرفصاء أمام شواية ضخمة مليئة بالفحم ويحرك من أعلاها البطة بواسطة وتد يديره بإحدى يديه ويضع اليد الأخرى على وجهه ليحميها من تطاير اللهب، وقد صاحب هذا المنظر نص مكتوب أعلاه [٤١] يقول فيه الخادم:

[٤٢]

ỉw . ỉ ḥr mᶜḳ ḏr pȝwt
n mȝ . ỉ mty srw

" أنا أمام الشواية منذ بداية الكون
وما رأيت مثل هذه البطة "

وهكذا فقد صورت المناظر المصورة على جدران المقابر حياة الخدم على النقيضين وأحسبها بذلك أن تتسم بالموضوعية العلمية، فهي تعكس حياة الخادم داخل منزل سيده مهما كانت طبيعة العلاقة بينهما، فتارة تتسم بالقسوة وأخرى تتسم بالود.

كذلك أعمال النحت كثيرا ما صورت عناء ومشقة الخدم في أعمالهم وكان لهذه التماثيل دوراً هاماً في إيضاح مكانتهم الإجتماعية، فهناك تمثال قريب الشبه تماما من ذلك الطاهي أمام الشواية يمثل خادماً يجلس أمام النيران ويضع إحدى يديه على وجهه خشية من حرارتها، ذلك بالإضافة إلى مجموعة من

التماثيل التي تمثل الحياة الخشنة والمرهقة لهم معتمدة في ذلك على نوع الحجر نفسه، وكذلك الأوضاع المنحنية وتهدل الجسد وغيرها من الأمور التي تبعد عن القوام المثالي السليم.[٣] وقد يكون ذلك له علاقة وثيقة بوضعهم وحالهم في المجتمع.

وهناك تساؤل قد يطرح نفسه الآن، فبعدما ساهمت النصوص سواء كانت أدبية أو إدارية ودينية أو دنيوية في إلقاء قليل من الضوء على الخدم والعبيد وذلك جنباً إلى جنب مع الأعمال الفنية سواء كانت نحت أو تصوير، فأين دور نصوص هجو المهن التي طالما عنيت بوصف حال أفراد الطبقة الدنيا؟ ولماذا لم يدرج الخدم ضمن أصحاب الحرف اليدوية؟

حرص الحكماء بداية من عصر الدولة الوسطى على ترغيب تلاميذهم في مهنة الكتابة متخذين في ذلك منهجاً ثابتاً على مر العصور وهو التركيز على مساوىء الأعمال اليدوية والسخرية من أصحابها، تلك المساوىء التي قد تعززها في الواقع محاسن عديدة إلى الدرجة التي تجعلها غير واضحة للعيان، لذا فقد تطلب الأمر جهداً شاقاً من الحكماء لإبراز هذه المساوىء، أما بالنسبة للخدم فقد كان الأمر غير ذلك، فقد أغفل الحكماء ذكرهم إعتمادا على طبيعة المهنة ذاتها والتي لا يمكن لأحد أن يختلف مع الآخرين في حكمه على تدني مكانتهم أكثر من الإسكافي وصانع الطوب والفخراني الذين قد يكونوا في الحقيقة أسياداً لهم، ونتج عن ذلك أن ثقافة المصريين لم تتعامل مع الخدم والعبيد على أنهم حالات بشرية مثل أفراد الطبقات الإجتماعية المستقلة،[٤٤] وهي نفس المكانة التي وضعهم فيها Helck حين أخرجهم من نطاق المسمى rmṯ الذي يخص كل المصريين.[٤٥]

٣- الخدم والعبيد عبر العصور:

وقد اختلف قدر المعلومات وحجمها عن حياة الخدم والعبيد وفقا لإختلاف وجودهم وقدرهم في العصور المختلفة، ففي عصر الدولة القديمة، لم تكن لفظة العبيد واسعة الإنتشار، وخاصاً في بدايتها، بل كان يحل محلها مسميات أخرى تقترب تارة من مفهوم العبودية وتبتعد تارة أخرى، وأكثر هذه المسميات شيوعا في هذه الفترة mrỉw أي التابعون والذين سبق الإشارة إليهم على أنهم قد يكونوا من أتباع الملك، وقد يكونوا أتباع لمواطن بسيط، أما الأقرب لدى الأذهان عن هذا المفهوم فقد يتمثل في أسرى الحروب الذين انتشرت مناظرهم في عهد سنفرو نتيجة حملاته المتعددة تجاه النوبة، فيظهرون على المعابد مقيدين الأيادي خلف ظهورهم ويتم توزيعهم على الجنود والموظفين ليعملوا على خدمتهم.[٤٦]

وجدير بالذكر أن هناك وثائق عديدة من عصر الدولة القديمة تتفاوت في صفتها ما بين الوثائق الحكومية وأخرى خاصة بالأفراد وتشير إلى عدة فئات من الأيدي العاملة المستعبدة والتي كانت تباشر عملها في نطاق المؤسسات الدينية أو لدى الأفراد سواء كانوا من خدم المعابد أو من الخدم المسئولين عن الخدمة المنزلية وذلك دون أن تعطينا أي تصور عن الظروف التي وضعتهم تحت نير العبودية أو حتى عن كيفية تعايشهم مع أسيادهم.[٤٧]

ومن هنا فقد حرص كبار الموظفين في عصر الدولة القديمة أن يلحقوا بسيرهم الذاتية بعض العبارات التي تشير إلى حسن معاملة خدمهم وترفعهم عن أذى الضعفاء، فضلا عن نفي استعباد أحدا من البشر، فيقول نخبو من الأسرة السادسة:

n-sp bȝk . ỉ rmṯ nb t ỉm

" أبدا لم أستخدم استعبد أي بشر هناك "

وفي قول آخر للموظف حنكو من الأسرة السادسة:

n-sp bȝk . i sȝt nt wˁ ỉm

" أبدا لم أستخدم استعبد ابنة أحد هناك "

ويلاحظ في كلا الجملتين استخدام أداة النفي n-sp والتي تفيد تأكيد النفي، مما يوحي بالقسوة التي كان يعامل بها العبيد من قبل أسيادهم الأمر الذي دفع البعض أن يتبرأ بإصرار من استعباده لأحد من البشر.

وجدير بالملاحظة في الجملة الثانية أن ظهر مخصص غير شائع لكلمة bȝk التي جاءت هنا بمعنى يستعبد ، وهو عبارة عن رجل جالس ومقيد من رقبته بنير من الحبال أو الخشب كي يعكس فكرة الإستعباد القاسية وكذلك التبعية التامة للسيد من خلال ربطه من عنقه، فلم يحق له من بعد أن يتنفس الحرية. [٥١]

وعلى أية حال فإن هذه الأدلة النصية الضعيفة في فحواها وغامضة في مضمونها غير قادرة وحدها على رسم صورة واقعية للحقوق والواجبات المتعلقة بالعبيد، فيبدو أن فكرة الحقوق الخاصة بهم لم تكد تظهر في هذا العصر المبكر اللهم إلا بعض المراسيم الملكية التي كانت تتحدث عن المؤسسات الدينية وكذلك الأفراد وما يملكونه من خدم وعبيد. [٥٢]

أما بخصوص الأعمال الفنية ودورها في المساعدة على فهم بعض من جوانب حياتهم في عصر الدولة القديمة فيمكن أن تتلخص في مناظر المقابر التي كانت كثيرا ما تصورهم كلما غدوا أو راحوا ويسعون لإرضاء إحتاجاتهم الخاصة سواء كانت مأكل أو سقاية أو حتى الزينة، إلا أن تماثيل الخدم كانت هي الأكثر شيوعا والأكثر إيضاحا في هذا العصر. [٥٣]

فقد أمدتنا مقبرة "مكت رع" في الدير البحري بالعديد من النماذج الخشبية التي تمثل الحرفيين في ورشهم والبحارة وكان من بينهم الخدم المسئولين عن الطهي وصناعة الخبز، فكانوا يعملون في غرف ضيقة تخلق قدر من الزحام يعرض الخدم أثناء العمل أمام النيران إلى الضيق من شدة الحرارة، لذا فكانت ملابسهم لا تتعدى تنورة قصيرة من الكتان الأبيض حتى يتسنى لهم تحمل شدة الحرارة. [٥٤]

ولعل من الأهمية بمكان، الإشارة إلى أن هذا الزحام أو العمل في جماعات لا يمكن أن يؤخذ عيباً مقصوراً على الخدم أو حتى الحرفيين، فكذلك الكتبة أحيانا ما يظهرون بنفس وضعية هؤلاء الخدم يعملون في جماعات لتسجيل أمرا ما. [٥٥]

وبعد نهاية عصر الدولة القديمة وإبان تلك المرحلة الإنتقالية بين عصرين والتي تعرف بإسم عصر الإنتقال الأول، حدث قدر من التغيير في المعتقدات الدينية والتي لعبت فيها العدالة mȝˁt دوراً هاماً فيها، وقد صحبتها بالضرورة تغيير في بعض الأمور الأخلاقية والإصلاحات السياسية مما كان له بالغ الأثر على علاقة العبد أو الخادم بسيده، فنرى لأول مرة وثائق تشير إلى نقل ملكية الخادم فيقول أحدهم: "*لقد أشتريت ثلاثة خدام وسبع خادمات*" وآخر يقول: "*لقد أشتريت ثيران ورجال وحقول ونحاس* " ويقد بالرجال هنا الخدم. [٥٦]

وكان للإنتشار الواسع للحملات في عصر الدولة الحديثة السبب الرئيسي في جلب العديد من الأسرى الأسيويين إلى مصر، فإذا سلمنا بالتعاملات التجارية التي كانت بدورها مصدراً هاماً للعبيد، وكان هؤلاء العبيد إما من أسرى الحروب الذين يتم جلبهم إلى مصر كغيرهم من الغنائم أو أن يتم شراؤهم من الأسواق، حيث كانت مصر في ذلك العصر تحظى بنصيب الأسد في شراء العبيد من آسيا وخاصا سوريا حيث كانت تقام هذه الأسواق بواسطة البدو الأسيويين. [٥٧]

ويبدو أن العبيد السوريين وخاصا نسائهم كان لهن أهمية خاصة عند المصريين، حيث أن ثمن العبدة يتكلف أربعة دبنات من الفضة في حين أن العبد الذكر كان يتكلف دبنان من الفضة. [٥٨]

وجاء في بردية Lansing إشارة طريفة إلى كيفية الإعتناء بالأسيرات السوريات إلى أن يصلوا سالمين إلى مصر:

pȝ ḳn ḥpr swȝḏ n ḥm . f ꜥnḫ wḏȝ snb pȝ ḥȝḳw
m hȝ r ḳmt tȝ ḫȝstyw ḏmꜥ . tỉ m mšꜥ
" sw dd . tỉ ḥr nḥbt pȝ wꜥw

عندما يحقق النصر فيكون الثراء لجلالته ليعش سليما معافا بينما الأسرى
ينزلون إلى مصر، وعندما تهلك نساء الأسرى من المشي
فيوضعوا على رقبة الجندي "

هذا وقد صورت الأعمال الفنية نزوح الأسيرات الأجنبيات إلى مصر مع أطفالهم وحسن استقبالهم، وكان يعني الفنان بإيضاح أجناس هؤلاء الأسيرات من خلال استخدام الألوان وملامح الوجه وتصفيف الشعر، فكان يغلب على النساء النوبيات اللون الأسود أما السوريات فكان يعطيهن اللون الأحمر مع الثياب الأبيض ليبدين في صورة رائعة. [٦٠]

وفي الفترات الأقدم من ذلك ما كان العبيد يدرجون ضمن الفئات البشرية rmṯ وإنما كان يتم التعامل معهم كأي ملكية منقولة، تماماً مثل الماشية التي كثيراً ما إقترنت بالعبيد حين يشير السادة إلى أملاكهم "*لقد حصلت على عبيد وماشية* "، وبداية من عصر الدولة الحديثة، بدأ المجتمع يُغير من نظرته إليهم بإعتبارهم جزءا منه.[٦١]

فقد إستند Gardiner على كثرة العقود والوثائق التي تتحدث عن تأجير العبيد لفترات محددة في عصر الدولة الحديثة كي يجزم بأنه لا توجد عقود إيجار ترجع إلى أقدم من هذا التاريخ،[٦٢] أما عقود إثبات ملكية هؤلاء العبيد فقد كانت معروفة منذ عصر الدولتين القديمة والوسطى. [٦٣]

حيث عثر على باب وهمي من عصر الأسرة السادسة مسجل عليه نص يشير إلى إثبات ملكية العبيد والتأكيد على حق هذه الملكية من خلال تسجيلهم على عقد خشبي مختوم يقول فيه المالك: " العبيد الخاضعين لأملاكي لقد أحضرتهم وتم تسجيلهم على عقد خشبي مختوم ". [٦٤]

وإذا كان عصر الدولة القديمة هو عصر بداية ظهور عقود الملكية الخاصة بالعبيد فقد زيد عليها في عصر الدولة الحديثة بعض الضوابط التي تحكم العلاقة بينهم وبين أسيادهم وكذلك بينهم وبين بعضهم، وكانت قيمة هذه العقود كغيرها من العقود الرسمية التي تخص الزواج أو الطلاق. [٦٥]

هذا وتشهد الأعمال الأدبية على مر العصور بوجود الخدم والعبيد داخل المجتمع المصري ولكن يتفاوت قدرهم وأهميتهم تبعا لتفاوت الظروف السياسية وأحيانا الإقتصادية تلك الظروف التي تحيط بالمجتمع سواء كانوا أفراد أو حتى مؤسسات. فمنذ عصر الدولة القديمة نرى الحكيم "بتاح حتب" لم يغفل ذكرهم ،وكذلك الحكيم "ايبو-ور" يشير إليهم في مواضع عدة من تحذيراته، واستمر الحال على هذا الحال حتى عصر الدولة الحديثة التي تزخر بالعديد من النصوص والتي تتمثل في الرسائل سواء كانت للأحياء أو للموتى وكذلك السير الذاتية والأغاني وغيرها.

ويأتي العبيد الأجانب من مصادر ثلاثة، **أولهم**: أسرى الحروب، حيث نتج من الحملات التي بدأت منذ عصر الدولة القديمة أن أُحضر إلى مصر كم هائل من الأسرى الذين يتم توزيعهم على الضباط

والجنود وكذلك المدنيين كعطايا، **ثانيهم**: الأجانب الموجودين داخل مصر بالإضافة إلى سكان الأراضي الأجنبية الذين يؤتى بهم إلى جانب الأسرى، **ثالثهم**: العبودية بالوراثة من أحد الأبوين أو من كلاهما. [٦٦]

ولا يمكن إغفال أن المصدر الأول والأهم إنما هو المصدر الرئيسي في جلب العبيد إلى مصر وأقصد به أسرى الحروب، فكثيرا ما نجد ملوك الدولة الحديثة يفخرون بالأعداد الضخمة من الأسرى كي يلحقوها بمعابد الآلهه ومن ثم يتم التصرف فيهم كمكافآت للشجاعة والبسالة في ميادين المعارك. [٦٧]

وقد نقش على جدران كثير من المعابد وعلى اللوحات التذكارية مناظر أسرى الحروب بإختلاف أجناسهم، فضلا عن ذكرهم في السجلات المدنية بإحصاء عددهم وقد يضاف هؤلاء الأسرى من الرجال والنساء وأطفالهم إلى مجموع الخدم المصريين مما زاد من عددهم. [٦٨]

وجدير بالملاحظة أن ظهور تلك العناصر الأجنبية في مصر لم يبدأ مع كثرة حملات الدولة الحديثة، وإنما كان لهم حضور داخل المجتمع المصري منذ نشأته الأولى، فهناك العديد من الأدلة الأثرية سواء كانت أعمال نقش أو تصوير أو حتى نحت خاصة بتلك الفئة إلا أنهم قبل عصر الدولة الحديثة ما كانوا أبدا يصوروا في وضع العبودية وإنما ظهروا ضمن الفرق العسكرية أو حتى هجرات بشرية تشمل النوبيين والليبيين وكذلك الأسيويين. [٦٩]

تشير النصوص العسكرية للملك "تحتمس الثالث" المسجلة على جدران معبد الكرنك هذا الكم الضخم من الأسرى الذين أحضرهم الجيش بعد نصره وكان من بينهم الخدم والعبيد:

[٧٠]

rḫt ḥ3ḳ ỉny m st ṯn m mšʿ r ḏr . f wrw 3 ḫmwt . sn 30
rmṯ kfʿ 80 ḫmw ḫmwt ḫnʿ ḥrdw . sn 606
" قائمة الأسرى المجلوبين من هذا المكان بواسطة الجيش إلى آخره ٣ أمراء ونسائهم ٣٠
و٨٠ رجل من المأسورين وخدم وخادمات مع أطفالهم ٦٠٦ "

كانت هذه الأعداد الضخمة من الأسرى إما أن يلحقوا بالعسكريين الذين أسروهم ليكونوا لهم بمثابة الخدم أو أن يتم ربطهم بالإدارة المنوط بها توزيع العمالة إدارة الأشغال . [٧١]

ولعل من الأهمية بمكان، الإشارة إلى أن الأسرى الذين يتم استعبادهم في هذه الحالة لم يقتصروا على ٦٠٦ خادم وخادمة وأطفالهم، وإنما شمل الأمر كل الأسرى مهما إرتفع شأنهما أو دنى، فها هم أمراء ونسائهم دخلوا في زمرة المستعبدين طالما تم أسرهم، وجاء تأكيدا على ذلك ما ورد في السيرة الذاتية لـ"أحمس ابن ابانا"، فلم تشمل قائمة الأسرى أية خدم أو خادمات وإنما أشار إلى رجال ونساء يحتمل أن يكون من بينهم أمراء وجنود وحرفيين، وقد وضعهم جلالته جميعا له بمثابة الخدم:

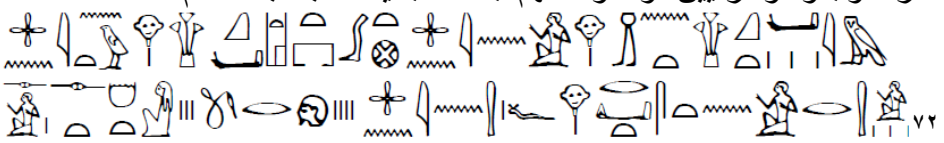
[٧٢]

wn ỉn tw ḥr ḥ3ḳ ḫt-wʿrt wn ỉn ỉ ḥr ỉnt ḥ3ḳwt ỉm
s st-ḫmt 3 dmḏ r tp 4 wn ỉn ḫm . f rdỉt st n.ỉ r ḫmw
" تم الإستيلاء على حت وعرت أواريس ولقد أحضرت أسرى من هناك
رجل وثلاثة نساء فالمجموع أربعة رؤوس، وقدمهم لي جلالته كعبيد "

وفي موضع آخر من النص يؤكد تلك المنحة الملكية فيقول :

[73]

mk rdit ḥm . f n . i ḫ3kwt r ḥmw

" انتبه! لقد أعطاني جلالته الأسرى كعبيد "

وبديهي أن هدف "أحمس ابن ابانا" من تلك الإشارات إنما هي التباهي برضا الملك عنه وحسن تقديره له ومكافأته بكم هؤلاء الأسرى الذين أصبحوا له عبيدا. [74]

هذا ولم يقتصر منح الأسرى كعبيد على الضباط والجنود فقط، بل كان على الملك أن يمنح أي شخص يتوسم فيه الولاء والطاعة نصيبا من هذه الغنيمة حتى وإن كان الحلاق الخاص به، فنجد حلاق الملك المدعو "سا باستت" يفخر بإمتلاكه لعبد قد قدمه له الملك "تحتمس الثالث" بعد أن خرج معه في إحدى الحملات، فيقول :

[75]

ḥm . i n i ỉmy ỉmn-ỉi-wy rn . f

" ỉn . n . i sw ḥr ḫpš ỉw . i ḥr šms p3 ḥk3

خادمي الذي معي أملكه اسمه أمونيو

لقد أحضرته كأسير عندما تبعت الملك"

ولعل ثاني أهم المصادر التي يتأتى منها العبيد تتمثل في الأجانب الذين يعيشون على أرض مصر أو المدنيين الذين يأتون مع الأسلاب إلى جانب الأسرى العسكريين، فما كان كل الأسرى من العناصر العسكرية والدفاعية للدولة المعادية وإنما كان إلى جانب ذلك عدد من السكان المدنيين، [76] كما تشير الفقرة التالية:

[77]

ỉn ḥr . sn nb m sḳr-ˁnḫ r w3st

"أحضرت كل سكانهم كأسرى إلى واست طيبة"

لعبت أسماء هؤلاء العبيد دورا كبيرا في التأكيد على عنصرهم الأجنبي، فقد ورد في إحدى الإشارات عن قصر "رعمسيس الثالث" مجموعة من الأسماء الخاصة بالعبيد المقيمين به وكانوا إحدى عشر عبداً، منهم خمسة يحملون أسماء أجنبية خالصة مثل الليبي المدعو "يانيني" وآخر يحمل أسم فينيقي يدعى "ماهار بعل" في حين أن البقية التي تحمل أسماء مصرية قد يرجع أصحابها إلى أصول أجنبية. [78]

أما المصدر الثالث للعبيد لا يمكن فصله عن المصدرين السابقين كما لا يمكن إغفاله كأحد مصادر العبيد ألا وهو وراثة العبودية، كان الأصل أن يولد كل إنسان حرا إلا من شاء قدره أن يولد لأحد أبوين خاضع لنير العبودية فيصبح هو بالتالي عبدا، أما إذا حدث وحصل الأبوين على حريتهما كأن يكونا قد أعتقا من قبل سيدهما فيصبح ابناءهم بالتالي أحرار، [79] كما أن أخت العبد من الممكن أن تحتسب عبدة مثله. [80]

وقد وردت الإشارة في نص يعرف باسم Adoption Pap عن أسرة لم ترزق بأبناء وكان لهم عبدة تخدمهم في دارهم، وقد رزقت هذه الأخيرة بولد وانثتان فأخذتهم عنها سيدة الدار وكانوا بالطبع من

العبيد، فتبنتهم جميعا وسعت إلى تحريرهم وكان سبيلها في ذلك أن تزوج أخيها الصغير- وهو رجل حر - إلى كبرى الأبنتين فتحصل هي بذلك على حريتها وبالتالي يحصل أخوتها على حريتهم. [٨١]

[٨٢]

ỉw ḥry- ỉḥ pȝdỉw ʿḳ r pȝy . ỉ pr
ỉw . f ỉrt tȝ-ỉmnt tȝy. w sn t ʿȝ m ḥmt
ỉw pȝy . ỉ sn šrỉ ỉw . ỉ šsp tw. f

.....
ỉw st ms bn šrỉ bn šrỉ ỉw . w
rmṯ nmḥ n pȝ tȝ n pr-ʿȝ

" وقد دخل المشرف على الأسطبل باديو بيتي
وأخذ تاآمونت أختهم الكبيرة كزوجة
فهو أخي الصغير وقد وافقته

.....
وإن أنجبت سواء كان ولدا أو بنتا فيكونوا
أناس أحرار في أرض الفرعون "

ومجمل القول فإن العبيد حين ينجبون فإن ابنائهم سواء كانوا ذكورا أو إناثا يسقطون مباشرا تحت نير العبودية منذ اللحظة الأولى لميلادهم وكذلك الحال بالنسبة للأخوات، وغلى الرغم من أن وضع العبودية كان يورث إلا أنه كان يمكن للبعض أن يتخلص من براثنها بوسائل شتى ليست بمكان للدراسة الآن ليلتحق بمستوى إجتماعي وثقافي أعلى. [٨٣]

إلى جانب هذه المصادر الثلاثة للعبيد والذين يشكلون طائفة العبيد من الأسرى والأجانب وابنائهم، فهناك قلة من المصريين كان يتم استعبادهم ولكن لظروف خاصة، اعتبارا من عصر الدولة الوسطى أمكن التعرف من خلال الوثائق والسجلات القضائية وبعض الأعمال الأدبية أن هناك من كانوا يفقدون إستقلالهم وحريتهم نتيجة ذنب ما قد اقترفوه، ويشيع هذا الوضع على جميع أفراد أسرته كنوع من العقاب، فيتم إهدائهم إلى أية مؤسسة أو حتى لأية أفراد من رجال الدولة كنوع من المكافأة، وهنا يفقد هذا المجرم وكذلك كلأهله حق إدارة الأموال أو حتى توظيف أية عمال من أجل خدمتهم ويصبحون هم انفسهم خاضعين لأوامر أولئك الذين عهد بهم إليهم. [٨٤]

ولا يمكن أن نغفل ضمن طائفة العبيد أولئك المصريين المتطوعين بمحض إرادتهم في أعمال الخدمة، فيبدو أنهم كانوا يتمتعون بمكانة أفضل من الأجانب حيث لم يمثلوا لأسيادهم أملاكا خاصة يحق له التصرف فيهم بالبيع أو التأجير، وهو الأمر الذي يضعهم في مكانة أعلى بقليل من العبد الخالص.[٨٥]

٤ـ طبيعة العلاقة بين الخدم والعبيد وسادتهم:

لا يمكن إغفال وجود علاقة مباشرة ما بين السيد وعبده أو خادمه، فكان الخدم ينقسموا إلى قسمين رئيسيين الخدم الوقوف ومهمتهم الأساسية السهر على تلبية إحتياجات رب البيت من تجهيزات وخدمات، الخدم الجلوس ومهمتهم توفير المأكل والمشرب والملبس والزينة والنظافة، وكان القسم الأول من الخدم دائما ما يزاولون أعمالهم في القسم الخاص برب البيت من المنزل، أي أنهم يلتقون به كثيرا ويتعاملون معه بشكل مباشر ويرتبطون به في الليل والنهار. [٨٦]

فيشير أحد الخدم ويدعى أحمس ابن بنياتي في رسالة يتودد فيها إلى سيده بشأن أمر خاص بخادمة تعمل معه بالقول:

[٨٧]

nn ỉnk pȝy . k bȝk ḥr sḏm wpw . k m grḥ
mỉ hrw

" ألم أكن خادمك الذي يسمع أوامرك في الليل مثل النهار "

أما العبد فكما أشارت الباحثة من قبل فإنما يختلف أمره عن الخادم في بعض الأمور، فهو ذلك الشخص الذي يخضع لملكية سيده بشكل تام مثل أي ملكية منقولة خاضعة للتوريث والإهداء والبيع، [٨٨] ورغم ذلك الإختلاف إلا أنه كان عليه هو الآخر أن يحسن معاملة سيده.

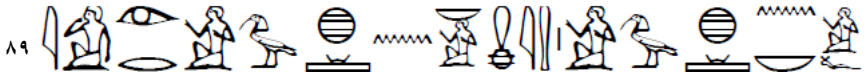

[٨٩]

ỉ ỉr ȝḫ n nb . ỉ mỉ ḥm ȝḫ n nb . f

" ها قد أحسن إلى سيدي كما يحسن العبد إلى سيده "

هذا وقد كان العبيد في المجتمع المصري ومعهم الخدم يحتلون أدنى مكانة في الطبقة الدنيا، وعلى الرغم من ذلك فقد كانوا يتمتعون بقدر من الحقوق التي يكفلها لهم أسيادهم، وعلى النقيض من ذلك فهناك العديد من الأمثلة على سوء العلاقة ما بين العبد وسيده. [٩٠]

وإذا ألقينا الضوء على السيد أو بالأحرى مالك العبيد لنرى أن كنية هذا المالك قد تغيرت ملامحها من فترة إلى أخرى، ففي عصر الدولة القديمة كان ملاك العبيد لا يتعدون زوجة الملك وابنائه وسمرائه وموظفيه وكهانه- إذا سلمنا بالملك والمعابد والمؤسسات – أما بداية من عر الدولة الوسطى فأصبح ملكية العبيد أمر متاح لكافة طبقات المجتمع، واستمر الحال كذلك في عصر الدولة الحديثة حتى أن أصبح من حق أفراد الطبقة الدنيا مثل الراعي والإسكافي والحلاق الحق في إمتلاك عددا من الخدم والعبيد في منازلهم، [٩١]حتى أن البعض منهم الذين لم يتيسر لهم إمتلاك الخدم والعبيد فكانوا يلجأون إلى تأجير البعض منهم لفترة محددة حتى وإن استلزم ذلك تحميل أنفسهم عبئا ماليا زائدا عن قدراتهم.[٩٢]

وقد ورد في بردية Berlin 9784 إشارة إلى راعي يعاني من الفقر الشديد إلى حد التعري، وكانت وسيلته الفضلى للحصول على الملابس أن يقوم بتأجير خادمته لمدة يومين:

i ḥɜy k ỉmỉ dỉ . tw swnw hrw 2 m ḫmt
ḫɜ-r-tỉt

" أنا عريان، دع أن أعطى ثمن يومين خدمة للخادمة
خا- راتيت

وبديهي انه طالما سوف يحصل على ثمن خدمتها فهو بالتالي الملك الخص لها.

وبغض النظر عن ماهية السيد ومكانته الإجتماعية فإن العلاقة بين العبد وسيده كانت شأنها شأن العلاقات الإنسانية التي قلما أن تلتزم بقالب أخلاقي موحد، وإنما تحدد ملامحها الفروق الفردية التي لعب فيها الكرم والإحسان وكذلك البغضاء دورا كبيرا في طبيعة هذه العلاقة.

وقد كان من بين مُلاك الخدم من يفخر في حديثه دائما بكثرة عددهم [٩٤] وكان من بين هؤلاء سنوهي الذي آشار في قصته الشهيرة مثل ذلك الأمر بالقول:

ỉnk ʿšɜ mrt
" أنا كثير الخدم أملك خدم كثيرين "

هذا وقد تعدى فخر الرجال بكثرة أعداد خدمهم إلى أن وصل بهم الأمر إلى الفخر بحسن مظهرهم وجمال هندامهم وبريق زينتهم، وهو الأمر الذي يتحقق بشكل كبير في النوبيين الذين بلغ جمال مظهرهم إذا ما إستخدموا في الجيش أن أصبحوا رمزا للجندي في اللغة المصرية القديمة،[٩٦] أما إذا تم إستخدامهم ككخدم في المنازل فيقال عنهم :

[٩٧]

nḥsyw nfrw n kš n šɜ ḫbs
bhɜ ỉw . w tỉwt ḥḏ ṯɜy m sfry
krmt r dt . sn

" نوبيون حسان من كوش، مكلفين بحمل
المراوح وينتعلون نعال بيضاء ويرتدون قطع
من الأساور في أيديهم "

أحب الأسياد كثيرا اللون الأبيض لخدمهم وعبيدهم سواء كان في زينتهم أو حتى في ملابسهم، فكان أغلب ملابسهم التي رسمت على جدران مقابر سادتهم لا تتعدى تنورة قصيرة من الكتان الأبيض حتى تتيح لهم سهولة الحركة، وأكد ذلك أيضا النماذج الخشبية التي عثر عليها في مقبرة مكت رع بالدير البحري. [٩٨]

أما النساء فكن يعتنين عناية خاصة بهيئتهن وشعورهن وزينتهن، وخاصا الخادمات المسئولات عن تقديم الشراب للولائم، فكن يجدلن شعورهن ويربطن رؤوسهن مراعاة لصحة أهل البيت وضيوفهم،[٩٩] وفي أحيان أخرى كن يظهرن عاريات تماما أو يغطين عورتهن بشريط ضيق يحيط بالخصر تاركين الصدر عاريا. [١٠٠]

أضف إلى ذلك أن سادة القوم ما كانوا يفخرون بكثرة خدمهم أو حسن مظهرهم فقط، وإنما غالى البعض في التأكيد على حسن معاملتهم لخدمهم وكذلك عبيدهم ليس فقط في حياتهم الدنيا بل وكذلك في العالم الآخر، فكثيرا ما نجدهم يقرون أنهم لم يعتدوا على فقير أو يعاقبوا أي خادم.

الخاتمة:

وأخيراً، تستنتج الدراسة بعض النقاط التي ترتبط بأوضاع الخدم والعبيد في مصر القديمة ومنها:

- يمكن القول أن هناك فارق كبير بين الخادم والعبد في المدلول، صحيح أن الفارق بينهم ضئيل وكثيرا ما تأتي النصوص والوثائق غير مهتمة بدقة إستعمال هذه الكلمات، كأن يشار إلى الخادم بلفظة Hm أو يشار إلى العبد بلفظة bAk، إلا أن الأمر الذي لا يمكن إغفاله أن العبد دائما ما يكون من أصل أجنبي، فقد يكون أسير حرب أو أسير من السكان المدنيين أو مهاجر أو أن يكون مولود في مصر ولكن من أحد أبوين أجنبيين أو كلاهما أو أن يكون مصري ولكنه أقترف ذنباً ما فيعاقب عليه بالإستعباد، أما المصريين فقد قصر إستخدامهم كخدم يؤدون عمل محدد مقابل أجر معلوم، ولكن حالهم ومكانتهم لم تختلف كثيرا عن نظرائهم من العبيد.
- بات واضحًا أن الفارق الرئيسي الذي يمكن الأعتماد عليه للحكم على أحد الأتباع على أنه من الخدم أو من العبيد إذا لم تتوافر لنا أية معلومات عنه هو قابلية خضوعه للبيع أو الشراء، تلك العملية التي كانت حكراً على العبيد، أو بالأحرى على الأجانب دون غيرهم، فالمصريين أبدا لم يعاملوا كسلعة تباع أو تشترى والدليل على ذلك أنه في الفترات المبكرة من تاريخ مصر القديم في الوقت الذي أبت مصر فيه أن تشغل رجالها في توسعات خارجية دون ترسيخ قواعد حضارتها وشئونها الداخلية لم يرد إلى معلوماتنا فكرة بيع الأتباع وشرائهم مع العلم بوجود الخدم بكثرة في مقابر النبلاء في هذه الفترة، أما بداية من الدولة الحديثة وبعدما سعت مصر إلى توسيع أمبراطوريتها في الأراضي المجاورة وجلب الأسرى بكثرة بعد كل معركة إنتشرت حركات البيع والشراء للأتباع بشكل كبير وهم من يمكن أن نطلق عليه إسم العبيد.
- أصبح مقبولاً أن الخدم والعبيد قد ظهروا في النصوص بصورة أوضح وأقرب إلى الواقع من ظهورهم في النقوش واعمال النحت، إذ أشارت النصوص إلى بعض الجوانب الحياتية دون أي أهداف أو مقاصد للسادة يفخرون فيها بإمتلاكهم للخدم وكثرة أعداد العبيد، بل كانت تعكس أعمالهم ومهامهم بصورة مباشرة.
- يجب ألا نعتمد على النصوص الأدبية المعروفة باسم هجو المهن والتي كانت موجهة لخدمة أغراض محددة في الحكم على أوضاع الخدم والعبيد، خاصة وأن هذه النوعية من النصوص كانت تهدف إلى تحقير كافة المهن والأعمال اليدوية والوظائف الدنيا لأجل إعلاء شأن الكتابة والتعليم، لذلك فقد بالغت في إظهار مدى شقاء وبؤس اصحاب الأعمال البسيطة والحرف اليدوية.

الهوامش والمصادر:

[1] A. El-M, Bakir., *Slavery in Pharaonic Egypt*, **SASAE**, 18, 1978, P.22.
[2] A. El-M, Bakir., *Slavery in Pharaonic Egypt*, P.15.
[3] A, Badawi & H, Kees., *Handwörterbuch der Ägyptischen Sprache*, Kairo, 1958, P.222; A. El-M, Bakir., *Slavery in Pharaonic Egypt*, P.34.
[4] A, Erman & H, Grapow., *Wörterbuch der Ägyptischen Sprache*,IV ,Leipzig, 1971, P.147.
[5] R. O, Faulkner., *A concise Dictionary of middle Egyptian*, Oxford, 1962, P.111.
[6] A, Badawi & H, Kees, *Handwörterbuch*, P.101.
[7] A, Loprieno., "Slaves", in: S, Donadoni., *The Egyptians*, Chicago and London, 1996, PP.191-192.
[8] A, Erman & H, Grapow., *Wörterbuch der Ägyptischen Sprache*, I, Leipzig, 1971, P.429.
[9] A. El-M, Bakir., *Slavery in Pharaonic Egypt*, P.17.
[10] A, Erman & H, Grapow., *Wörterbuch der Ägyptischen Sprache*, I, P 426.
[11] دومينيك فالبيل، ، *الناس والحياة في مصر القديمة*، ترجمة ماهر جويجاتي، مراجعة ذكية طبوزادة، القاهرة، ١٩٨٩، ص. ٧٦.
[12] A. El-M, Bakir., *Slavery in Pharaonic Egypt*, P.17.
[13] K, Sethe., *Urkunden des Ägyptischen Altertums*, I, Leipzig 1933, P.52, 17.
[14] A. El-M, Bakir., *Slavery in Pharaonic Egypt*, PP.17-18.
[15] W, Helck., "Sklaven", in: *Lexicon der Ägyptologie*, V, Wiesbaden, 1984, col. 983.
[16] A, Erman & H, Grapow., *Wörterbuch der Ägyptischen Sprache*, III, P.87.
[17] H. G, Fischer., "An early Occurrence of Hm servant in regulation referring to a mortuary estate", **MDAIK**, 16, Wiesbaden, 1958, P.137.
[18] A. El-M, Bakir., *Slavery in Pharaonic Egypt*, P.31.
[19] K, Sethe., *Urkunden des Ägyptischen Altertums*, I, P.4, 13.
[20] H. G, Fischer. "An early Occurrence of Hm servant", P.134.
[21] K, Sethe., *Urkunden des Ägyptischen Altertums*, I, P.233, 14.
[22] H. G, Fischer., "An early Occurrence of Hm servant", P.135.
[23] A, Erman & H, Grapow., *Wörterbuch der Ägyptischen Sprache*, IV, P.485.
[24] بيير مونتييه، *الحياة اليومية في مصر في عصر الرعامسة*، ترجمة عزيز مرقص منصور، مراجعة عبد الحميد الدواخلي، القاهرة، ١٩٦٥، ص. ٨٣.
[25] R. O, Faulkner., *A concise Dictionary*, P.73.
[26] R. O, Faulkner., *A concise Dictionary*, P.58.
[27] A, Badawi & H, Kees., *Handwörterbuch*, P.51.
[28] M, Lichtheim., *Ancient Egyptian Literature*, I, London, 1973, P.157.
[29] رشا فاروق السيد، "دراسة لغوية تحليلية لبردية الحكيم ايبو-ور"، رسالة ماجستير غير منشورة، الأسكندرية، ١٩٩٩، ص ١٨٠.
[30] بيير مونتييه، الحياة اليومية في مصر في عصر الرعامسة،، ص ٨٣.
[31] A, Loprieno., "Slaves", P.200.
[32] A, Erman., *Life in Ancient Egypt*, New York, 1971, P.187.
[33] M, Lichtheim., *Ancient Egyptian Literature*, I, P.218.
[34] K, Sethe., *Ägyptische Lesestücke*, Leipzig, 1928, P.29.
[35] A, Loprieno., "Slaves", P.148.
[36] J. H, Breasted., *Egyptian Servant Statues*, Washington, 1948, P.4.
[37] عبد العزيز صالح، *الفن المصري القديم*، تاريخ الحضارة المصرية، المجلد الأول، القاهرة، ١٩٦٢، ص ٣١٣.
[38] سيريل ألدريد، *الفن المصري القديم*، ترجمة أحمد زهير، مراجعة محمود ماهر طه، القاهرة، ١٩٩٠، ص ١٣٨
[39] عبد العزيز صالح، *الفن المصري القديم* ، ص ٣١٣.

[40] N. De, G, Davies., *Scenes from some Theban Tomb*s, Oxford, 1963, P.7.
[41] A. M, Blackman., *The Rock Tomb of Meir*, III, London, 1915, PP.30-31.
[42] A. M, Blackman., *The Rock Tomb of Meir*, III, PL. XXXI.
[43] L, Borchardt., "Die Dienerstatuen aus den Gräben des Alten Reiches, **ZÄS**, 35, Leipzig & Berlin, 1897, P.125.
[44] A, Loprieno., "Slaves", P.189.
[45] W, Helck., "Sklaven", Col. 983.
[46] A, Loprieno., "Slaves", PP.191-194.
[47] جونيفييف هوسون ودومينيك فالبيل، الدولة والمؤسسات في مصر من الفراعنة الأوائل إلى الأباطرة الرومان، ترجمة فؤاد الدهان، القاهرة، ١٩٩٥، ص ١١٤.
[48] K, Sethe., *Urkunden des Ägyptischen Altertums*, I, P.217, 5.
[49] K, Sethe., *Urkunden des Ägyptischen Altertums*, I, P.77, 4.
[50] محمد عبد الحليم نور الدين، *اللغة المصرية القديمة*، الطبعة الثانية، الأسكندرية، ١٩٩٨، ص. ٧٠.
[51] H. G, Fischer., "An early Occurrence of Hm servant", P.137.
[52] A. El-M, Bakir., *Slavery in Pharaonic Egypt*, P.64.
[53] A. H, Gardiner., "Four Papyri of the 18th Dynasty from Kahun", **ZÄS**, 43, 1906, P.43.
[54] H. E, Winlock., *Models of daily life in Ancient Egypt from the tomb of Meket-Re at Thebes*, Cambrigge,1955, PP.27-29.
[55] J. H, Breasted., *Egyptian Servant Statues*, Washington, 1948, P.2.
[56] A, Loprieno., "Slaves", P.196.
[57] A, Loprieno., "Slaves", P.202.
[58] W, Helck., "Sklaven", Col. 984.
[59] A. H, Gardiner., *Late Egyptian Miscellanies*, Bruxelles, 1937, P.108.
[60] N. De, G, Davies., *Scenes from some Theban Tomb*s, PP. 19-20.
[61] A, Loprieno., "Slaves", P.189.
[62] A. H, Gardiner., "Four Papyri of the 18th Dynasty from Kahun", P.43.
[63] حسن محمد محي الدين السعدي، *موضوعات في الحضارة المصرية*، الإسكندرية، ١٩٩٣، ص ١٢٧.
[64] A. El-M, Bakir., *Slavery in Pharaonic Egypt*, P.14.
[65] حسن محمد محي الدين السعدي، *موضوعات في الحضارة المصرية* ، ص ١٢٧.
[66] A. El-M, Bakir., *Slavery in Pharaonic Egypt*, P.109 ff.
[67] A. H, Gardiner., "Four Papyri of the 18th Dynasty from Kahun", P. 44.
[68] دومينيك فالبيل، ، *الناس والحياة في مصر القديمة*، ص ٤٢.
[69] L, Klebs., *Die Reliefs und Malereien des Mittleren Reiches*, New York, 1990, P.159.
[70] K, Sethe., *Urkunden des Ägyptischen Altertums*, IV, P.698, 3-7.
[71] دومينيك فالبيل، *الناس والحياة في مصر القديمة* ، ص ٤٣.
[72] K, Sethe., *Urkunden des Ägyptischen Altertums*, I, 4, 10-13.
[73] K, Sethe., *Urkunden des Ägyptischen Altertums*, I, 5, 2.
[74] A, Loprieno, "Slaves", P.203.
[75] K, Sethe., *Urkunden des Ägyptischen Altertums*, IV, P.1369, 6-7.
[76] A. El-M, Bakir., *Slavery in Pharaonic Egypt*, P.111.
[77] K, Sethe., *Urkunden des Ägyptischen Altertums*, IV, P.795, 11.
[78] A. Erman., *Life in Ancient Egypt*, P. 106.
[79] S, Allam,*"Slaves"*, in: *The Oxford Encyclopedia of Ancient Egypt*, III, Oxford 2001, P.294.
[80] A. El-M, Bakir., *Slavery in Pharaonic Egypt*, P.65.
[81] A. H, Gardiner., "Adoption Extraordinary", **JEA**, 26, 1940, P.25.
[82] A. H, Gardiner., "Adoption Extraordinary", PL. VI a.

[8] A, Loprieno., "Slaves", P. 200.

[٨٤] جونيفييف هوسون ودومينيك فالبيل، *الدولة والمؤسسات في مصر* ، ص. ١١٤.

[8] S, Allam., *"Slaves"*, P. 249.

[٨٦] دومينيك فالبيل، *الناس والحياة في مصر القديمة* ، ص. ٧٦.

[8] T. E, Peet., "Two Eighteenth dynasty letters, Papyrus Louvre 3230", **JEA**, 12, 1926, PL. XVII.

[8] S, Allam., *"Slaves"*, P. 294.

[8] A. H, Gardiner., *Late Egyptian Miscellanies*, P.110.

[9] A. El-M, Bakir., *Slavery in Pharaonic Egypt*, P.103.

[٩١] حسن محمد محي الدين السعدي، *موضوعات في الحضارة المصرية* ، ص. ١٢٧.

[9] A, Loprieno., "Slaves", P. 204.

[9] A. H, Gardiner, "Four Papyri of the 18th Dynasty from Kahun", 43, P. 28.

[9] S, Allam., *"Slaves"*, P. 295.

[9] K, Sethe, *Ägyptische Lesestücke*, P. 7.

[9] L, Klebs., *Die Reliefs und Malereien des Mittleren Reiches*, New York, 1990, P. 159.

[9] A. H, Gardiner., *Late Egyptian Miscellanies*, P. 52.

[9] H. E, Winlock., *Models of daily life in Ancient Egypt*, P. 29.

[٩٩] دومينيك فالبيل، *الناس والحياة في مصر القديمة*، ص. ٧٨.

[1] N. De, G, Davies., *Scenes from some Theban Tombs*, P. 7.